شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

الشيخ علي سلطان الجلابنة

الفصل الأول للعام ١٤٣٦

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الخامس:

السلام عليكم ورحمة الله.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين أما بعد:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر:١-٣].

أسأل الله عز وجل أن يكتب لكم جميعًا هذه الخطى، وأن يتقبل منا جميعًا هذا العلم، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أخواتي -بارك الله فيكم- وقفنا عند: **"باب الخوف من الشرك"**.

وهذا الباب هو الباب الرابع من أبواب هذا الكتاب العظيم، كتاب التوحيد، والإمام عليه رحمة الله، نظن فيه ظنًّا يقينيًّا أنه -رحمه الله- ما وضع بابًا في هذا الكتاب إلا وله مناسبة، فمناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد، ولما قبله من الأبواب الثلاثة: باب وجوب التوحيد، أو كما سماه قول الله عز وجل كذا وكذا، ثم بعد ذلك فضل التوحيد، ثم تحقيق التوحيد، ثم باب الخوف من الشرك، مناسبة هذا الباب لهذا الكتاب، ولهذه الأبواب التي سبقته: أنه -رحمه الله- لما ذكر التوحيد وفضل التوحيد، وفضل تحقيق التوحيد ناسب أن يذكر بعد ذلك الخوف من ضده، وهو الشرك، ذلك أن الإنسان أو أن تحقيق التوحيد عند الإنسان، وعن الناس من أهل التوحيد، لابد وأن يقترن معه الخوف من الشرك، فإذا كنتِ موحدةً حقًّا فلابد أنكِ تخافين من الشرك، وقلَّ -وهذه قاعدة أخواتي بارك الله فيكم-: قلَّ من يكون مخاطرًا بتوحيده أو غير خائفٍ من الشرك، ويكون مع هذا الأمر على مرتبة عالية من كمال التوحيد، بل قولي لا يوجد ذلك، فإذا كنتِ تخافين من الشرك فإن حالكِ لابد أن يكون كحال إبراهيم الخليل -عليه السلام-، وكحال محمدٍ -صلى

الله عليه وسلم-، وكحال الأنبياء جميعًا والصالحين، فإنهم كانوا يخافون من التوحيد، فكما علمنا في الدرس الماضي أن إبراهيم -عليه السلام- من أولي العزم من الرسل، ومع ذلك فإنه -عليه السلام- كان يخاف من ماذا؟ من الشرك، لماذا؟ لأن الله -عز وجل- توعد أهل الشرك بشيءٍ عظيمٍ يوم القيامة: نار جهنم، توعدهم بنار جهنم، وهذا الوعد أخوتي -بارك الله فيكم- يطال كل من وقع في الشرك، حتى وإن كان من الأنبياء، لذلك ماذا قال الله عز وجل للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾**[الزمر:٦٥]**، يا محمد، فكيف بنا نحن المساكين؟!.

لذلك أخواتي -بارك الله فيكم- لهذا الموضوع العظيم: وهو تحقيق التوحيد، والخوف من الشرك، أو البعد عن الشرك هذين الموضوعين العظيمين المؤلف -رحمه الله- وضع هذا الكتاب، فما بعد هذين الموضوعين: وجوب التوحيد، ثم فضله، ثم فضل من حققه، ثم الخوف من الشرك ما بعد هذه الأبواب هو تفصيلٌ لهذه الأبواب، فجميع ما بعد هذه الأبواب هو تفصيلٌ لهذه الأبواب، ولهاتين المسألتين العظيمتين وهما: تحقيق التوحيد، والخوف من الشرك، أو الابتعاد عن الشرك وما شابه ذلك، فلابد أن نعلم أن كل من حقق التوحيد، لابد أن يخاف من الشرك، والذي لا يخاف من الشرك فهذا -والعياذ بالله- قد يكون واقعٌ في نوع من أنواع الشرك -نسأل الله عز وجل العافية-، لذلك ورد وثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- كثرة الدعاء أن يبعد الله عز وجل عنه الشرك: «**اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه ونعوذ بك لما لا نعلمه**».

قال المؤلف -رحمه الله-: **"باب الخوف من الشرك:**

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

وقال الخليل عليه السلام..

الخليل: يعني إبراهيم عليه السلام، فإن الله عز وجل قد اتخذه خليلًا، وقد اتخذ أيضًا نبينا محمدًا –صلى الله عليه وسلم- خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا.

قال: "وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]".

يعني هذه آية على لسان إبراهيم –عليه السلام-.

قال: "وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسُئِلَ عنه صلى الله عليه وسلم، فقال: الرياء»".

هذا الحديث لم يضع له تخريجًا وهو حديثٌ صحيح صححه شيخنا الألباني وغيره.

قال: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»، رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»".

أجارنا الله وإياكم جميعًا من النار، الآن الآية الأولى التي سطر بها هذا الإمام هذا الباب، فيها آية سورة النساء قول الله عز وجل: "﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾"، وأكدها بحرف "إن": وهو حرف توكيد، "﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾": المغفرة أخواتي –بارك الله فيكم-: هي الستر، يقول في اللغة غفر: إذا ستر، ومنه: سمي ما يوضع على الرأس في الحرب مغفرًا؛ قطعةٌ من الحديد توضع على الرأس تستر الرأس من ماذا؟ تستر الرأس من ضرب السهام والرماح، والسيوف، وما شابه ذلك، فالآن الله عز وجل أخبر في هذه الآية خبرًا مؤكدًا بأنه لا يغفر، يعني: لا يستر هذا الشيء الذي يصدر من الإنسان وهو الشرك، والشرك والمعصية أخواتي –بارك الله فيكم- لهما أثرٌ واضح على من يقع فيهما إما في الدنيا، وإما في الآخرة، وإما في الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

وأعظم ما يمن الله عز وجل به على العبد: هو غفرانه له ذنوبه، فكلنا ما نعمل في هذه الدنيا وما نجتهد في عبادتنا لربنا –سبحانه وتعالى- إلا لأجل أن يغفر لنا خطايانا،

وذنوبنا، وأن يُدخلنا جناته جنات الفردوس الأعلى، ولذلك إن من أفضل المنن: علم يزيل الله به عنكِ الشك والدرن، فبعد أن تعملي بهذا العلم يمن الله عز وجل علينا بغفران الذنوب، وبسترها ومحوها، فلا نؤاخذ بهذه الذنوب لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الشرك كما هو ظاهرٌ في هذه الآية: "﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ**﴾"، **لا**: نفيٌ وبعدها جاء نكرة، وكما قعدناه في دروسٍ سابقة، قلنا: إنها نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، فالشرك، كل الشرك لا يغفره الله أبدًا، لماذا؟ وأريد من الجميع الانتباه إلي، الشرك؛ هو أن تجعل مع الله عز وجل ندًّا، بماذا سويتي هذا الند مع الله عز وجل؟ بماذا؟ بعبادتكِ له، أليس كذلك؟ فالعبادة أو نقول: التوحيد؛ هو حقٌّ خاصٌّ خالصٌ لله عز وجل، كما قال الله عز وجل: ﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾**[الزمر:٣]**، وكما في حديث عائشة كما في الصحيحين، قال الله عز وجل: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك**»، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «**فمن عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»، آه يا الله!.

الآن أخواتي -بارك الله فيكم- انظرن إلى غيرة الله عز وجل، نحن في هذه الدنيا إذا تشاركنا شريكين، ثم اختلفنا فإن أي واحدٍ فينا يكون حريصًا على أن يأخذ التجارة أو المحل، أو السيارة، أو، أو، ثم يخلص صاحبه ويعطيه مالًا ويتركه، لكن الله عز وجل يختلف عن البشر فهو رب البشر، الله عز وجل يقول: لو أشّركت معي يا ابن آدم واحدًا في المائة في العبادة لا أخلص ذلك الشريك وأعطيه المال حتى يتركه، لا، لا أترك نصيبي وإن كان تسعةً وتسعين بالمائة، يا الله! ما أعظم غيرة الله عز وجل! لذلك أخواتي -بارك الله فيكم- من هنا نفهم أن الشرك لا يغفره الله أبدًا كما أخبر: "﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾"، فكأنه وضع خطًّا أحمرًا، ما تحت هذا الخط يعفو ويغفره لنا، وما فوق هذا الخط لا يعفو ولا يغفره لنا.

ومن عظيم فضله علينا بأن جعل كل الذنوب تحت هذا الخط، ووضع فوق هذا الخط ذنبًا واحدًا وهو: جنابتكِ على التوحيد، فالتوحيد خاصٌّ خالصٌ لله عز وجل، أما باقي المعاصي: كالزنا، والسرقة، والقتل، و، و، و، فهذه يغفرها الله عز وجل للإنسان،

وإن كان هناك حق لآدمي آخر فإنه يعيده أو يعني كما هو معروف عندكم يأخذ حقه يوم القيامة، أو يعفو عنه ويدخل هو وصاحبه الجنة، وما شابه ذلك.

فالشرك اعتداءٌ على الله عز وجل، وليس للإنسان في هذا الشرك، ليس فيه حظ لنفسه، بل هو كل ما هنالك أنه حقٌّ خاصٌّ لله عز وجل، ولذلك أخبر الله عز وجل عنه بأن الشرك ظلمٌ عظيم، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾**[لقمان:١٣]**.

الآن معروفٌ أن الشرك الأكبر لا يغفر الله عز وجل لصاحبه إلا بالتوبة، قال الله عز وجل كما في سورة النساء: "﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾"، لكن -هذا في الشرك الأكبر-، لكن إن مات الإنسان على الشرك الأصغر، فهل يقبل الله عز وجل، أو فهل يغفر الله عز وجل لهذا الإنسان هذا الشرك الأصغر؟ أو نسأل هذا السؤال بأسلوبٍ آخر: هل يغفر الله عز وجل الشرك الأصغر بغير توبة؟ أم هو داخلٌ في هذه الآية: "﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾"، وقع خلافٌ عند أهل العلم، والذي عليه الجمهور: أن الله عز وجل لا يغفر الشرك الأعظم، الشرك الأكبر، لا يغفره الله عز وجل للإنسان إلا بتوبة، فإن مات عليه فإن صاحب هذا الشرك خالدٌ مخلدٌ في نار جهنم، أما الشرك الأصغر: فإن الله عز وجل يعفو ويتوب على الإنسان إن وقع فيه بغير توبة، أو أنه -سبحانه وتعالى- إذا مات الإنسان على هذا الذنب فقد يعفو عنه يوم القيامة، أو أنه سيعذبه لكن بعد ذلك يخرج من النار، ويدخل جنته، فهو تحت المشيئة، يوم القيامة، إن شاء عفا عنه، وإن شاء حاسبه، أما الذي يقع في الشرك الأكبر فهذا ليس تحت المشيئة بل هو خالدٌ مخلدٌ بقدر الله عز وجل، واضح أخواتي -بارك الله فيكم-؟.

وهناك قولٌ آخر وهو لجمعٍ من المحققين كابن تيمية -عليه رحمة الله-، وإن كانت قد وردت عنه آراء في هذه المسألة لكن الذي ينقله عنه المحققون هو والعلامة السعدي، وبعض المعاصرين؛ كشيخنا الطريفي وغيره: أن الشرك الأصغر أيضًا هو داخلٌ في الشرك الأكبر، فإذا مات الإنسان على أي نوعٍ من الشرك فإن الله عز وجل لا يغفر له هذا النوع

من الشرك، طيب، نسأل هؤلاء القوم والعلماء الأفاضل: طيب ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر في هذه الحالة، بما أن هذا سيدخل النار، طب ما الفرق؟ طب ما ذنب هذا الذي أشرك الشرك الأصغر؟ قالوا: إن الذي يقع في الشرك الأصغر والشرك الأكبر سيدخل النار، لكن أصحاب الشرك الأكبر ما بالهم؟ سيُخلدون في نار جهنم، وأصحاب الشرك الأصغر ليس لهم التخليد، وهذا القول له حظٌّ من النظر، لكن عفو الله عز وجل واسعٌ، ورضوانه عز وجل أوسع من سخطه -سبحانه وتعالى- فنسأله جل جلاله لأصحاب الشرك الأصغر نسأله لهم المغفرة، وقول الجمهور هو أيضًا قويٌّ وله أدلته، وكما قلت لكم: إن لكلٍّ من القولين علماء يقولون به، والذين أدين الله عز وجل به: أنه إن وقع في الشرك الأصغر فهو كباقي الذنوب، داخلٌ في مغفرة الله عز وجل، وليس هو مع أصحاب الشرك الأكبر، فإن عفو الله عز وجل واسع، والله أعلم.

قال المؤلف -رحمه الله-: **"وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم:٣٥]"**.

وهذه -كما قلت لكم- هي آيةٌ قرآنية، هي في سورة إبراهيم، ذكرها الله عز وجل على لسان الخليل، وقول المصنف رحمه الله: **"وقال الخليل عليه السلام"**، لم يذكر عليه الصلاة والسلام، لم يذكر الصلاة، بل اقتصر على التسليم، وهذا جائزٌ، وأيضًا يشرع لكِ عند ذكر الأنبياء أن تذكري الصلاة والتسليم عليهم، بل قد نقل الإمام النووي الإجماع على ذلك، واضح أخواتي -بارك الله فيكم-؟ فيجوز لكِ أن تقولي: عيسى عليه السلام، موسى عليه السلام، أيضًا يجوز لكِ أن تقولي: عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذا أرفع درجةً ومقدارًا لأنبياء الله عز وجل ورسله عليهم الصلاة والسلام.

قال: **"﴿وَاجْنُبْنِي﴾"**: أي: اجعلني في جانب، واجعل الأصنام في جانبٍ آخر، وهذا الشيء أو هذا الدعاء جميلٌ جدًا، فالاجتناب هو منتهى الابتعاد، فهو يطلب من الله عز وجل أن يبعده كل الابتعاد عن تلك الأصنام التي بقي طوال حياته وهذا -كما

قلت- هو في منتهى الأدب مع الله عز وجل أن يطلب شيئًا بقي طوال حياته يحاربه ويدعو قومه أن يتركوه.

قال: "﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ﴾": المراد بالبني: الذرية، وما تولد من صلبه -صلى الله عليه وسلم-، ولكن دعاء إبراهيم -عليه السلام- كان من حكمة الله -عزَّ وجلَّ- الإجابة في هذه الدعوة، فإن ذرية إبراهيم -عليه السلام- منهم الصالح ومنهم غير الصالح -نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يعفو عنهم-.

قال: "﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾": "﴿نَعْبُدَ﴾": العبادة؛ هي الذل والخضوع لغير الله -عزَّ وجلَّ- وخص الأصنام وهو لم يذكرها على سبيل الاختصار والاختصاص، بل هو ذكرها على سبيل التمثيل، والأصنام: جمع صنم؛ وهو ما كان على صورة شيءٍ يُعبد من دون الله -عزَّ وجلَّ- وضربه مثالًا، فالإنسان قد يصور صورةً على شكل وجه رجل، أو على شكل جسم حيوان، أو على شكل صورة كوكب ونحو ذلك، والأصنام بعض أهل العلم قال: هي الأوثان، وبعضهم قال: لا، هناك فرقٌ بين الأصنام والأوثان.

- وهذا سؤالٌ أرجو أن تحتفظوه حتى نهاية الدرس -ما الفرق بين الأصنام والأوثان؟ هل الأصنام نفس الأوثان؟- وجزاكم الله خير.

فهذه الأصنام كانوا يعبدونها من دون الله -عزَّ وجلَّ- في زمن إبراهيم ومعروفٌ قصته: لما كسرها، فكانت دعوته أن يجنبه الله -عزَّ وجلَّ- وبنيه وما تولد منهم هذه الأصنام، ومناسبة هذه الآية للباب: أنه إذا كان إبراهيم الخليل وهو من أحب الناس إلى الله -عزَّ وجلَّ- فهو الخليل، إذا كان هذا النبي الصالح خاف على نفسه وعلى بنيه من الشرك، فغيره من باب أولى أن يخاف على نفسه الشرك، والواقع أخوتي -بارك الله فيكم- أن عامة الأمة وكثيرٌ من الناس لا يخافون من الشرك إلا اللهُّم الذين يسعون في تحقيق التوحيد، فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا الجاهل بالشرك، وإلا الجاهل بما يخلصه من هذا الشرك، وهو العلم بالله -عزَّ وجلَّ-، وبما بُعِثَ به النبي -صلى الله عليه وسلم- وما شابه

ذلك، فهذا النبي الصالح الكريم أحد أولي العزم من الرسل يدعو الله -عزَّ وجلَّ- أن يجنبه الأصنام، فنحن من باب أولى أن ندعو الله -عزَّ وجلَّ-.

قال: "**وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، فسُئِلَ عنه صلى الله عليه وسلم، فقال: الرياء»**".

الخطاب هنا أخوتي للمسلمين، النبي -صلى الله عليه وسلم- يخاطب المسلمين، فإذا كان المسلم يخاف على نفسه من الشرك، ومن الشرك الأصغر وهو الرياء، فهذا على الجادة، وأما إذا لم يخف من الشرك وأيضًا خصَّ منه النبي -صلى الله عليه وسلم- الشرك الأصغر فهذا على خطرٍ عظيم، فالخطاب هنا للمسلم الذي يخاف من الشرك الأصغر، وسماه النبي -صلى الله عليه وسلم- أصغرًا لماذا أخواتي -بارك الله فيكم-؟ مقابلةً بماذا؟ بالشرك الأكبر، وإلا فليس هو صغيرٌ هكذا، بل هو ذنبٌ عظيم، بل إن العلماء لما ذكروا أنواع المعاصي، ذكروا الشرك الأكبر، ثم بعد ذلك ماذا؟ ثم الشك الأصغر، ثم ماذا؟ ثم الكبائر، ثم الصغائر، فهو أعظم من الكبائر -نسأل الله العافية- فهو أعظم من الكبائر، فينبغي لنا أن ننتبه، وفقط في مقابلة الشرك الأكبر شركًا أصغر، ولكنه أيضًا هو عظيم، بل إنه قد ورد عن ابن مسعود -رضي الله تعالى عنه- أنه قال: (لئن أحلف بالله -عزَّ وجلَّ- كاذبًا أحبَّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا)، وهذا كلام إن ثبت عن ابن مسعود فإن ما يُفهم منه أنه إن حلف بالله كاذبًا فهذا ماذا يسمى أخواتي -بارك الله فيكم-؟ هذا يسمى كذب، وهو كبيرة هنا؛ لأنه حلف بالله -عزَّ وجلَّ- كذبًا، لكن أن يحلف بغيره فهنا إيش أخواتي -بارك الله فيكم-؟ أن يحلف بغيره هنا شرك، فأيهما أعظم: أن يحلف يمينًا بالله كاذبًا، يمينًا غموس، أم أن يحلف بغيره؟ نقول: كلا الأمرين سيء، وكلا الأمرين هو عظيمٌ وعقابه أليمٌ عند الله -عزَّ وجلَّ-، لكن الأعظم منهما: الحلف بغير الله -عزَّ وجلَّ- واضح أخواتي -بارك الله فيكم-؟ الحلف بالله -عزَّ وجلَّ-.

قال: "**«الرياء»**": الرياء؛ تعبد الله -عزَّ وجلَّ-، ثم إنك عندما يراك الناس تحسن هذه العبادة، فيحمدونك عليها، يعني: الرياء؛ هو تحسين العمل، أو تحسين العبادة؛

لأجل الناس، والتي تريد أن تنظر هل عندها رياء أو لا يوجد عندها رياء، فلتنظر هل يستوي عندها المدح والذم؟ فإن استوى عندك المدح والذم، فلانة تصلي صلاةً هكذا، فلانة ما شاء الله! ما أجمل صلاتها! وما أحرصها على إقامة الركوع والسجود! فتجد في قلبها شيء، فهذه التي تجد في قلبها يعني رفعة عند المدح، ودنو عند الذم، فهذه عندها شيءٌ في الإخلاص لله -عزَّ وجلَّ-، فإن الرياء –كما قلنا-: أن يحسن الإنسان العمل لأجل الناس.

والرياء قسمان:

رياءٌ عند المسلمين.

ورياء عند المنافقين.

الرياء الذي عند المنافقين هو في أصل الدين، يعني هو أهر للإسلام وأبطن الكفر وأيضًا يراءي، قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾**[النساء:١٤٢]**، -نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يبعدهم عنا.

ورياء المسلم الموحد هو ماذا أخوتي –بارك الله فيكم-؟ هو في تحسين العبادة، ومناسبة هذا الحديث للباب: أنه إذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد خاف وخوَّف الصحابة من الشرك، فغيرهم من باب أولى، لابد أن يخاف من الشرك الأصغر، وهو الرياء، وأيضًا إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يخوف الصحابة من الشرك الأصغر، فكيف بالشرك الأكبر الذي هو يقابل الشرك الأصغر؟ نسأل الله العافية.

ثم قال: **"وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»**.

ما معنى الند أخواتي –بارك الله فيكم-؟ الند؛ هو المثيل، والشبيه، والشريك، في ماذا أخواتي –بارك الله فيكم-؟ في ماذا هنا جعله مثيلًا لله -عزَّ وجلَّ-؟ في ماذا؟ في العبادة، طب هل الدعاء من العبادة؟ قال: **«من مات وهو يدعو»**، هل الدعاء من العبادة؟ الدليل على ذلك؟ نعم هو من العبادة طيب والدليل على ذلك: قال -صلى الله عليه

وسلم-: «**الدعاء هو العبادة**»، أو كما قالت الأخت: «**الدعاء مخ العبادة وهو حديثٌ ضعيف**»، لكن معناه صحيح، وسيذكره، سيمر معنا بعد دروس قليلة في كتاب التوحيد.

طيب الآن أخواتي –بارك الله فيكم- من باب الفائدة: الآن الشرك الأكبر والأعظم أنواعًا كثيرة، لكن أهل العلم أعادوه إلى أنواع قليلة، إلى أربعة أو خمسة أنواع، الشرك الأكبر يرجع أو ترجع أصوله إلى أربعة أو خمسة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعاء أو الدعوة، والذي سنتكلم عنه الآن.

النوع الثاني: شرك القصد والإرادة.

والنوع الثالث: شرك المحبة.

ثم شرك ماذا؟ شرك الطاعة ويدخل الخوف في الطاعة.

إذًا هي أربعة أصناف:

شرك الدعوة أو الدعاء.

شرك النية والإرادة والقصد.

والثالث: شرك الطاعة.

والرابع: شرك ماذا؟ المحبة.

الدعاء، والقصد، والطاعة، والمحبة.

هذه هي أصول الشرك الأكبر، يعني يرجع الشرك الأكبر إلى هذه الأنواع الأربعة، فاضبطوها واحفظوها تستفيدوا.

الآن أخواتي –بارك الله فيكم- قال: "**«من مات»**": الموت معروف عند كل الناس: هو مفارقة الروح للبدن، فالذي يموت، ثم بعد ذلك يُبعث ويلقى الله –عزَّ وجلَّ- وهو يدعو من دون الله –عزَّ وجلَّ- وحاله دخل النار، قال: "**«من مات»**": الموت معروف.

"**«وهو يدعو من دون الله»**" معناه: يتعبد غير الله –عزَّ وجلَّ- بماذا؟ بالدعاء، يدعو من دون الله.

"ندًّا": مثيلًا وشبيهًا، -كما قالت الأخوات-.

"«دخل النار»": والدعاء ينقسم إلى قسمين:

دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

الدعاء المسألة أخواتي —بارك الله فيكم-: أن تسأل الله -عزَّ وجلَّ- بأسمائه الحسنى، وتتخير ما يناسب دعاءك، فتقول: يا رحمن ارحمني، يا غفور اغفر لي، يا سميع اسمع دعاءي، هذا دعاء ماذا أخواتي —بارك الله فيكم-؟ دعاء المسألة.

ودعاء العبادة: هي أن تقوم بعبادةٍ ما وقيامك بهذه العبادة هو بمثابة كلامك كأنك تقول: أنا يارب أصوم؛ لتغفر لي، فكما قالت الأخت: هو دعاءٌ بلسان الحال لا بلسان المقال، واضح أخواتي —بارك الله فيكم-؟ فتصلي؛ ليغفر الله لك، تصومي؛ ليدخلك الله الجنة، وهكذا.

الآن دعاء العبادة؛ كالصوم والصلاة أن تقومي بأداء العبادة حتى يغفر الله -عزَّ وجلَّ- لكِ ويرفعكِ الدرجات العليا، فإذا صليتي، أو صمتي، أو دعوتي الله -عزَّ وجلَّ- بلسان حالك فأنتِ تسمين داعيةً لله -عزَّ وجلَّ- دعاء عبادة بلسان مقالكِ، لا بلسان حالكِ، والله -عزَّ وجلَّ- جعل الدعاء عبادة، قال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾[غافر:٦٠]، قبلها قال: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ**﴾ إيش أخواتي بارك الله فيكم؟ ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي**﴾، فسمى الدعاء عبادة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الدعاء هو العبادة**».

ودعاء العبادة إذا صرفه الإنسان لغير الله أشرك شركًا أكبرًا، لماذا؟ لأن العبادة —كما قدمنا في مقدمة الدرس-؛ لأن العبادة حقٌّ خاصٌّ خالصٌ لله -عزَّ وجلَّ- إذا ما صرفتِ شيئًا منها لغير الله كفرتي، فلو ركع الإنسان لغير الله، أو سجد، أو حتى انحنى لغير الله -عزَّ وجلَّ- انحناء عبادة فإنه يكفر لا محالة، لماذا؟ لأن هذا الدعاء الذي هو دعاء العبادة حقٌّ خالصٌ لله -عزَّ وجلَّ- بخلاف دعاء المسألة، فهذا ليس كله شركًا بل فيه تفصيل، كيف تفصيل يا شيخ علي؟ أقول: إن كان المخلوق قادرًا على ذلك فليس بشرك،

كقولكِ لأختكِ: اسقني ماءً ويكون هناك ماء، وتكون أختكِ قادرة، وتكون على قيد الحياة، قريبة منكِ، تستطيع أن تجيبكِ فهذا ليس دعاء ماذا؟ شرك، بل هذا استعانة بالمخلوق القادر الموجود، وقال صلى الله عليه وسلم: «**من دعاكم فأجيبوه**»، وأما دعاء المخلوق بشيءٍ لا يقدر عليه إلا الله -عزَّ وجلَّ- فهذا دعاءٌ إيش؟ شركيٌّ، كأن تقولي مثلًا: يا شيخنا فلان: أمطر علينا السماء، ما دخل الشيخ الفلاني بالسماء؟! فهذا هنا أصبح طلب شيءٍ لا يقدر عليه، فيكون من باب الشرك الأكبر، واضح أخواتي -بارك الله فيكم- هذه المسألة؟.

الآن هناك مسألةٌ أخرى وهي جيدة، وهي: كلمة "«**من مات وهو يدعو من دون الله**»"، ولفظة "«**من دون الله**»": موجودةٌ في القرآن والسنة، الذي عليه علماء التحقيق، علماء التفسير تفسير القرآن، وتوضيح السنة، والمحققون من أهل العلم أن المراد بها شيئان:

الشيء الأول: أن تأتي بمعنى: مع، يعني: "من مات وهو يدعو مع الله -عزَّ وجلَّ-"، فيكون معنى "«**من دون الله**»": مع الله -عزَّ وجلَّ- يعني أشرك معه شركًا أعظمًا وهو دعاه مع الله -عزَّ وجلَّ-، ومع هذه تسمى معية، يعني: سرت مع زميلتي فأنتِ وإياها في خطٍّ واحد، دعوت فلان مع الله -عزَّ وجلَّ- فجعلته مع الله -عزَّ وجلَّ- في المقام والمقدار، ودعوته، -نسأل الله أن يعفو عنا ويبعد عنا هذا النوع.

وأيضًا النوع الثاني: هو نفسه في الحكم، لكن قلنا: الأولى: أن تأتي بمعنى: مع، والثانية: أن تأتي بمعنى: غير، يعني: من مات وهو حاله -الواو واو الحال- وحاله أنه يدعو غير الله "«**من دون الله**»" غير الله، يعني إلهًا غير الله، يعني هو لم يعبد الله أصلًا، ثم أشرك به غيره لا، بل دعا إلهًا آخر استقلالًا، واضح أخواتي -بارك الله فيكم-؟ قد تأتي بمعنى: عبد الله، وعبد معه غيره، وقد تأتي بمعنى: لم يعبد الله أصلًا، بل عبد غيره، وكلا النوعين -والعياذ بالله- هما من الكفر، واضح أخواتي -بارك الله فيكم-؟ إما أن تأتي بمعنى: مع، أو تأتي بمعنى غير، وهذا الحديث يدل على أن الشرك يُدخل النار، ومناسبة هذا الحديث بالباب: أن الإنسان أنه إذا كان الشرك يُدخل النار فأوجب هذا على الإنسان أن يخاف

منه، قال صلى الله عليه وسلم: "**«من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»**" –والعياذ بالله– وفيه إثبات وجود النار، وهي خلق من مخلوقات الله –عزَّ وجلَّ– يعذب الله –عزَّ وجلَّ– بها من ضلَّ من عباده.

قال المصنف –رحمه الله– في الأثر الأخير: "**ولمسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»**".

هذا الحديث في مسلم، والذي قبله في البخاري، وهذا قريبٌ جدًا من الحديث الذي قبله، يعني: يدل هذا الحديث على أن الإنسان إذا مات سالمًا من الشرك، فإنه إن شاء الله –عزَّ وجلَّ– تحقيقًا لا تعليقًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا بالله –عزَّ وجلَّ– ولو شيئًا قليلًا دخل النار وقد يعفو الله –عزَّ وجلَّ– عنه –كما قلنا– لا يدخله النار، لكن هذا الذنب باقترافه الذنب استحق دخول النار، ففيه إثبات للجنة، وفيه إثبات للنار.

ومناسبة هذا الحديث: أنه كل من مات على الشرك دخل النار فأوجب علينا أن نخاف من الشرك بجميع أنواع سواءٌ كان شركًا أصغرًا، أو شركًا أكبرًا، فالمؤلف –رحمه الله– في هذا الباب الذي ذكر فيه آيتين، ثم بعد ذلك حديثين، أراد من هذا الباب –رحمه الله– أنك يا أيها الموحد: احرص على أن تبق دائمًا متيقظًا خائفًا من الشرك بأنواعه أسأل الله –عزَّ وجلَّ– أن يُبعد عنا الشرك بأنواعه، وأن يُميتنا جميعًا على التوحيد الخالص لله –عزَّ وجلَّ–.

هذا والله –عزَّ وجلَّ– أعلى وأعلم، ونسبة العلم إليه أسلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه والتابعين، والسلام عليكم ورحمة الله.

تم هذا الدرس يوم الأربعاء 26 محرم ,1436 الموافق19\11\2014